
بِيارْ وَ الذِّئْب
أجمل حكاياتي
CHIHAB Kids

أجمل حكاياتي

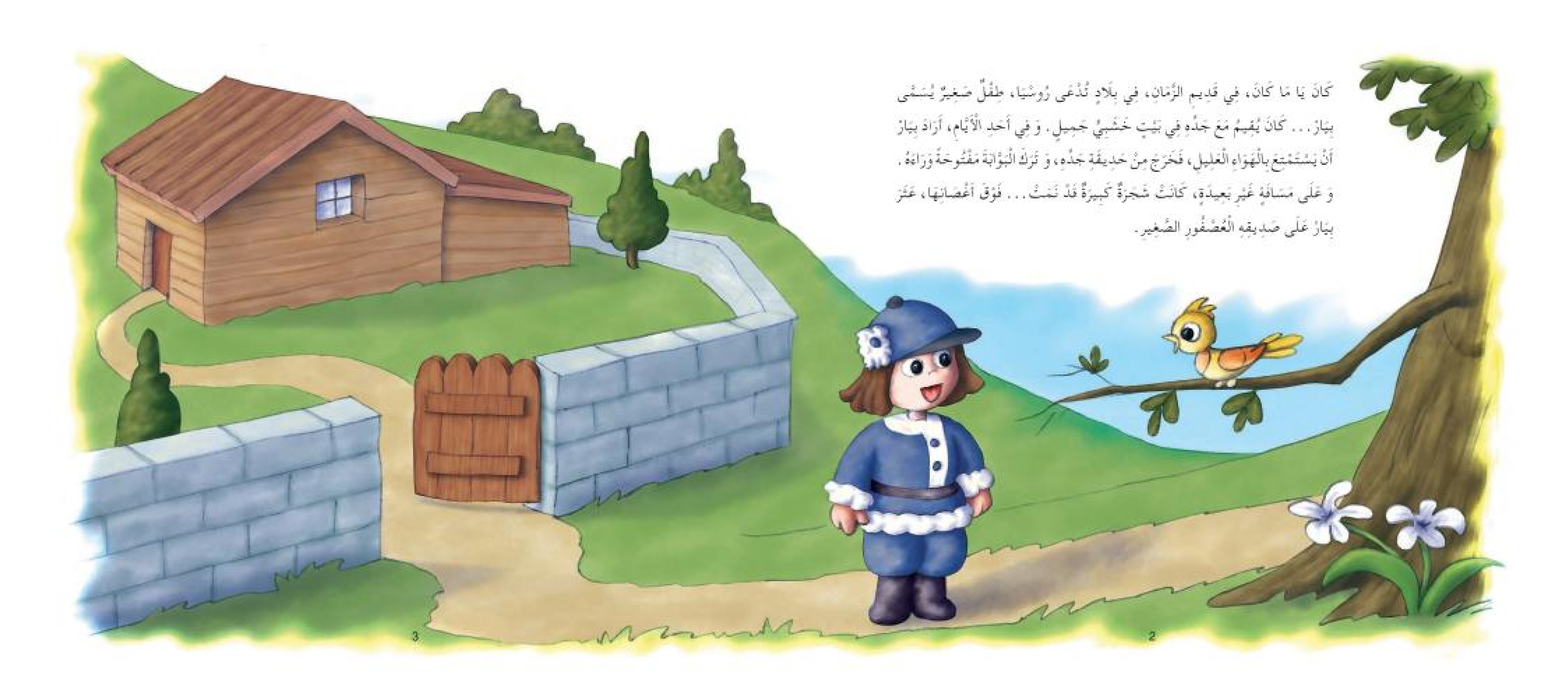
بِيارْ وَ الذِّئْب



مقتبسة من حكايات سيرغاي بروكوفياف

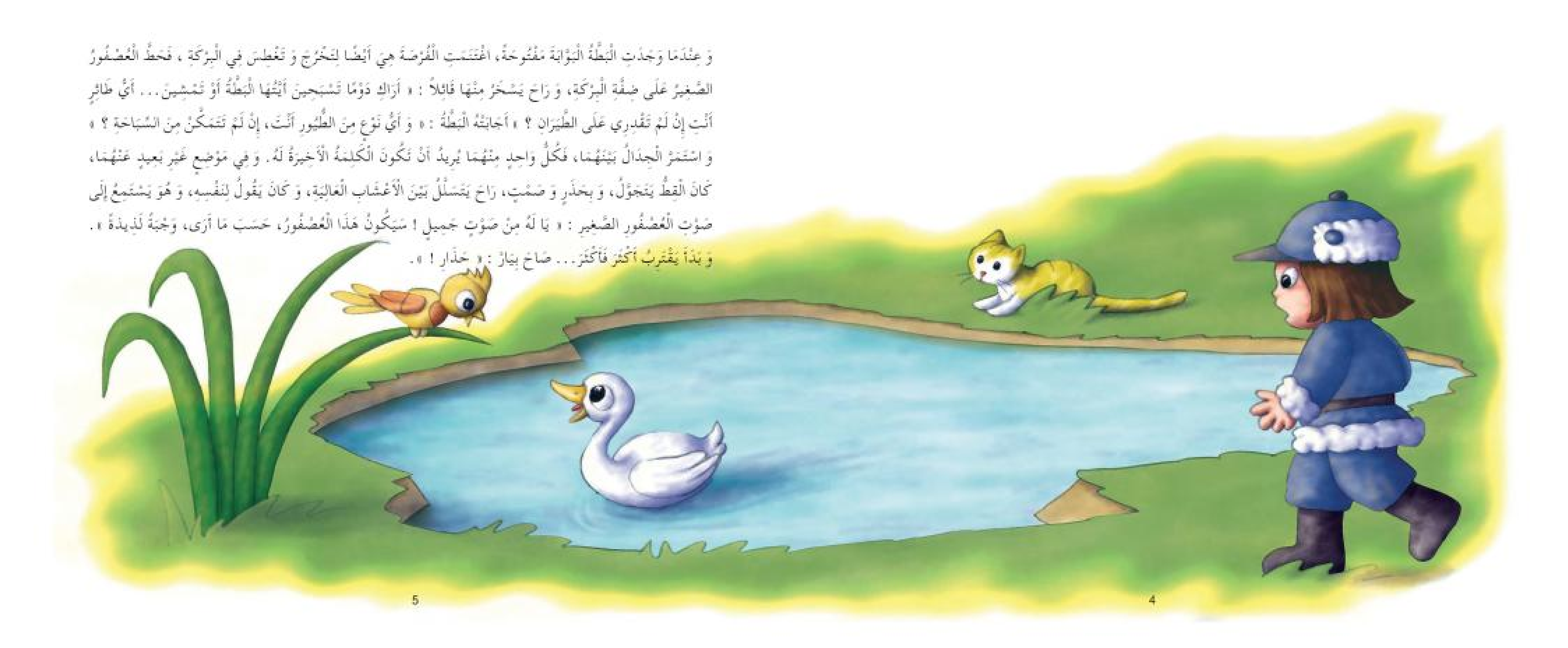
رسوم : منصور عموري





كَانَ يَا مَا كَانَ، فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، فِي بِلَادٍ تُدْعَى رُوسْيَا، طِفْلٌ صَغِيرٌ يُسَمَّى بِيَارْ. . . كَانَ يُقِيمُ مَعَ جَدِّهِ فِي بَيْتٍ خَشَبِيٍّ جَمِيلٍ. وَ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، أَرَادَ بِيَارْ أَنْ يَسْتَمْتِعَ بِالْهَوَاءِ الْعَلِيلِ، فَخَرَجَ مِنْ حَدِيقَةِ جَدِّهِ، وَ تَرَكَ الْبَوَّابَةَ مَفْتُوحَةً وَرَاءَهُ. وَ عَلَى مَسَافَةٍ غَيْرِ بَعِيدَةٍ، كَانَتْ شَجَرَةٌ كَبِيرَةٌ قَدْ نَمَتْ. . . فَوْقَ أَغْصَانِهَا، عَثَرَ بِيَارْ عَلَى صَدِيقِهِ الْعُصْفُورِ الصَّغِيرِ.

وَ عِنْدَمَا وَجَدَتِ الْبَطَّةُ الْبَوَّابَةَ مَفْتُوحَةً، اغْتَنَمَتِ الْفُرْصَةَ هِيَ أَيْضًا لِتَخْرُجَ وَ تَغْطِسَ فِي الْبِرْكَةِ ، فَحَطَّ الْعُصْفُورُ الصَّغِيرُ عَلَى ضِفَّةِ الْبِرْكَةِ، وَ رَاحَ يَسْخَرُ مِنْهَا قَائِلاً : « أَرَاكِ دَوْمًا تَسْبَحِينَ أَيَّتُهَا الْبَطَّةُ أَوْ تَمْشِينَ... أَيُّ طَائِرٍ أَنْتِ إِنْ لَمْ تَقْدِرِي عَلَى الطَّيَرَانِ ؟ » أَجَابَتْهُ الْبَطَّةُ : « وَ أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الطُّيُورِ أَنْتَ، إِنْ لَمْ تَتَمَكَّنْ مِنَ السِّبَاحَةِ ؟ » وَ اسْتَمَرَّ الْجِدَالُ بَيْنَهُمَا، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُرِيدُ أَنْ تَكُونَ الْكَلِمَةُ الأَخِيرَةُ لَهُ. وَ فِي مَوْضِعٍ غَيْرِ بَعِيدٍ عَنْهُمَا، كَانَ الْقِطُّ يَتَجَوَّلُ، وَ بِحَذَرٍ وَ صَمْتٍ، رَاحَ يَتَسَلَّلُ بَيْنَ الأَعْشَابِ الْعَالِيَةِ، وَ كَانَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ، وَ هُوَ يَسْتَمِعُ إِلَى صَوْتِ الْعُصْفُورِ الصَّغِيرِ : « يَا لَهُ مِنْ صَوْتٍ جَمِيلٍ ! سَيَكُونُ هَذَا الْعُصْفُورُ، حَسَبَ مَا أَرَى، وَجْبَةً لَذِيذَةً ». وَ بَدَأَ يَقْتَرِبُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ... صَاحَ بِيَارْ : « حَذَارِ ! ».



وَ لَمْ يَكُنْ أَمَامَ الْعُصْفُورِ غَيْرُ وَقْتٍ قَلِيلٍ لِيَطِيرَ وَ يَتَشَبَّثَ بِالْغُصْنِ. أَمَّا الْبَطَّةُ، الَّتِي بَقِيَتْ وَسَطَ الْبِرْكَةِ، فَكَانَتْ تُطْلِقُ صَيْحَاتٍ كَبِيرَةً غَاضِبَةً تِجَاهَ الْقِطِّ. نَظَرَ الْقِطُّ إِلَى الْعُصْفُورِ الصَّغِيرِ، وَ هُوَ يَتَسَاءَلُ : « هَلْ مِنْ فَائِدَةٍ فِي أَنْ أَتَسَلَّقَ الشَّجَرَةَ وَ أُتْعِبَ نَفْسِي مِنْ أَجْلِ هَذَا الطَّائِرِ اللَّعِينِ ؟ كَمَا يُمْكِنُ أَنْ يَطِيرَ هَذَا الطَّائِرُ بَعِيدًا، عِنْدَمَا أَصِلُ أَنَا إِلَى الْأَعْلَى ». فِي ذَلِكَ الْحِينِ، خَرَجَ الْجَدُّ مِنَ الْبَيْتِ، وَ صَاحَ بِغَضَبٍ : « بِيَارْ، أَلَمْ أَقُلْ لَكَ أَلَّا تُغَادِرَ الْحَدِيقَةَ ؟ وَ كَيْفَ يَكُونُ الْأَمْرُ لَوْ ظَهَرَ الذِّئْبُ ؟ هَيَّا عُدْ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْبَيْتِ ». وَ لَكِنْ بِيَارْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَبُرَ بِمَا يَكْفِي لِكَيْ يَخْرُجَ لِلتَّنَزُّهِ حَيْثُمَا أَرَادَ، وَ أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ يَخَافُ مِنَ الذِّئَابِ مُنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ. غَيْرَ أَنَّ جَدَّهُ سَحَبَهُ بِحَزْمٍ مِنْ يَدِهِ، وَ جَرَّهُ نَحْوَ الْبَيْتِ، بَعْدَ أَنْ أَغْلَقَ بَوَّابَةَ الْحَدِيقَةِ بِعِنَايَةٍ.



وَ حَسَنًا فَعَلَ الْجَدُّ ؛ فَبَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ، خَرَجَ ذِئْبٌ أَسْوَدُ كَبِيرٌ مِنَ الْغَابَةِ، فَقَفَزَ الْقِطُّ إِلَى الشَّجَرَةِ، أَمَّا الْبَطَّةُ الْمِسْكِينَةُ، فَقَدِ انْطَلَقَتْ ـ بِلَا حَذَرٍ ـ خَارِجَ الْبِرْكَةِ، وَ هِيَ تَصِيحُ خَائِفَةً. كَانَ الذِّئْبُ مُصَمِّمًا عَلَى الإِمْسَاكِ بِهَا، كَانَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ وَ هُوَ يَرْكُضُ خَلْفَهَا : « مِيَامْ ! مِيَامْ ! سَأَسْتَمْتِعُ بِأَكْلِهَا ». شَعَرَتِ الْبَطَّةُ، وَ هِيَ فِي مُنْتَهَى الْفَزَعِ، بِالذِّئْبِ يَقْتَرِبُ، وَ يَقْتَرِبُ أَكْثَرَ . . . إِنَّهُ هُنَا، قَرِيبٌ جِدًّا. وَ بِالْفِعْلِ، إِبْتَلَعَهَا الذِّئْبُ فِي لُقْمَةٍ وَاحِدَةٍ. بَعْدَ ذَلِكَ، خَطَا الذِّئْبُ بَعْضَ الْخُطُوَاتِ، وَ رَاحَ يَدُورُ حَوْلَ الشَّجَرَةِ ؛ فَرَأَى الْقِطَّ مُتَشَبِّثًا بِغُصْنٍ عَلَى جِهَةٍ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَ هُوَ يَرْتَجِفُ. وَ فِي الْجِهَةِ الْأُخْرَى، فِي أَبْعَدِ مَكَانٍ مُمْكِنٍ عَنِ الْقِطِّ، كَانَ الْعُصْفُورُ الصَّغِيرُ سَاكِنًا فَوْقَ أَحَدِ الْأَغْصَانِ. وَ عَبْرَ سِيَاجِ الْحَدِيقَةِ كَانَ بِيَارُ يُتَابِعُ الْمَشْهَدَ بِاهْتِمَامٍ ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ خَائِفًا أَبَدًا . . . كَانَ هُنَاكَ جِدَارٌ كَبِيرٌ يُحِيطُ بِالْحَدِيقَةِ وَ كَانَتِ الشَّجَرَةُ عَلَى الْجِهَةِ الْأُخْرَى مُبَاشَرَةً، كَمَا كَانَ أَحَدُ أَغْصَانِهَا يَمْتَدُّ عَبْرَ الْجِدَارِ إِلَى دَاخِلِ الْحَدِيقَةِ. فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، خَطَرَتْ لِبِيَارَ فِكْرَةٌ : أَمْسَكَ بِالْغُصْنِ وَ تَسَلَّقَ الشَّجَرَةَ، وَ وَصَلَ إِلَى حَيْثُ الْعُصْفُورُ الصَّغِيرُ.



قَالَ بِيَارُ لِلْعُصْفُورِ : « اِسْمَعْنِي جَيِّدًا، عَلَيْكَ أَنْ تَتْبَعَ تَعْلِيمَاتِي بِدِقَّةٍ... سَتَطِيرُ فَوْقَ رَأْسِ الذِّئْبِ، وَ أَنْتَ تَدُورُ فِي الْهَوَاءِ، فَأَنْتَ تُحْسِنُ فِعْلَ ذَلِكَ، وَ عَلَيْكَ أَلاَّ تَبْتَعِدَ عَنِ الشَّجَرَةِ. وَ لَكِنْ حَذَارِ أَنْ يُمْسِكَ بِكَ الذِّئْبُ. هَلْ هَذَا مَفْهُومٌ ؟ »... فَأَجَابَهُ الْعُصْفُورُ : « نَعَمْ، هَذَا مَفْهُومٌ ». نَزَلَ بِيَارُ وَ قَفَزَ دَاخِلَ الْحَدِيقَةِ، ثُمَّ رَكَضَ نَحْوَ الْبَيْتِ وَ جَلَبَ حَبْلًا غَلِيظًا، وَ صَنَعَ فِي طَرَفِهِ أُنْشُوطَةً. فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، كَانَ الْعُصْفُورُ الصَّغِيرُ يَطِيرُ فَوْقَ الأَنْيَابِ الْمُخِيفَةِ بِمَهَارَةٍ فَائِقَةٍ، أَثَارَتْ أَعْصَابَ الذِّئْبِ. وَ بَيْنَمَا كَانَ الذِّئْبُ مَشْغُولاً بِرَغْبَتِهِ فِي الانْتِقَامِ مِنَ الْعُصْفُورِ وَ الْتِهَامِهِ... صَعِدَ بِيَارُ إِلَى أَعْلَى الشَّجَرَةِ، وَ رَاحَ يَلُفُّ الأُنْشُوطَةَ فِي الْهَوَاءِ، مُرَكِّزًا عَلَى فَمِ الذِّئْبِ، ثُمَّ رَمَاهَا بِأَقْصَى دِقَّةٍ مُمْكِنَةٍ.





وَ كَأَنَّهُ سَاحِرٌ بَارِعٌ ! اِلْتَفَّتْ حَلَقَةُ الْأُنْشُوطَةِ عَلَى رَقَبَةِ الذِّئْبِ بِمُنْتَهَى الْإِحْكَامِ، وَ بِسُرْعَةٍ جَذَبَ بِيَارْ الْحَبْلَ لِيُضَيِّقَ الْأُنْشُوطَةَ، وَ رَبَطَ الطَّرَفَ الْآخَرَ مِنَ الْحَبْلِ بِأَحَدِ الْأَغْصَانِ ؛ فَسَقَطَ الذِّئْبُ فِي الْفَخِّ. فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، شَاهَدَ بِيَارْ ثَلَاثَةَ صَيَّادِينَ قَادِمِينَ مِنَ الْغَابَةِ يَقْتَفُونَ أَثَرَ الذِّئْبِ، فَقَدْ مَضَتْ أَيَّامٌ وَ أَيَّامٌ، وَ هُمْ يُحَاوِلُونَ صَيْدَهُ. صَاحَ بِيَارْ مُنَادِيًا إِيَّاهُمْ : « لَا تُطْلِقُوا النَّارَ، إِنَّنِي قَبَضْتُ عَلَى الذِّئْبِ... الْآنَ سَاعِدُونِي عَلَى نَقْلِهِ إِلَى حَدِيقَةِ الْحَيَوَانَاتِ ! ».

وَ فِي جَوٍّ مِنَ الاحْتِفَالِ، وَ هُوَ يَعْبُرُ - مَزْهُوًّا - الطَّرِيقَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى حَدِيقَةِ حَيَوَانَاتِ الْمَدِينَةِ الْكَبِيرَةِ الْمُجَاوِرَةِ، تَبِعَ بِيَارُ الصَّغِيرُ الصَّيَّادِينَ الثَّلَاثَةَ ؛ وَ كَانَ الْجَدُّ يَمْشِي وَرَاءَهُمْ، وَ قَدْ تَبِعَهُ الْقِطُّ. وَ كَانَ الْعُصْفُورُ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ يُغَنِّي، طَرِبًا، أُغْنِيَةً تَقُولُ : « هَلْ رَأَيْتُمْ، هَلْ رَأَيْتُمْ ؟ أَنَا وَ بِيَارُ قَهَرْنَا الذِّئْبَ ! » أَمَّا الْجَدُّ، فَقَدْ قَالَ لِنَفْسِهِ مُتَمْتِمًا، وَ هُوَ يُدَاعِبُ لِحْيَتَهُ : « كُلُّ هَذَا جَمِيلٌ، لَكِنْ لَوْ أَنَّ بِيَارَ لَمْ يُفْلِحْ فِي الْقَبْضِ عَلَى الذِّئْبِ، مَا كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَصَوَّرَ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ ! ».





وَ إِذَا أَطْرَقْتَ السَّمْعَ، كَانَ يُمْكِنُ سَمَاعُ صَوْتٍ خَافِتٍ يُنَادِي : « أَخْرِجُونِي مِنْ هُنَا !، أَخْرِجُونِي مِنْ هُنَا ! » كَانَ الصَّوْتُ لِلْبَطَّةِ،الَّتِي كَانَتْ فِي عُمْقِ بَطْنِ الذِّئْبِ، وَ هِيَ تُنَادِي وَ تَتَحَرَّكُ، لِأَنَّ الذِّئْبَ بَلَعَهَا وَ هِيَ حَيَّةٌ ! وَ لِحُسْنِ الْحَظِّ عِنْدَ الْوُصُولِ إِلَى حَدِيقَةِ الْحَيَوَانِ، تَمَّ التَّمَكُّنُ مِنْ جَعْلِ الذِّئْبِ يَتَقَيَّأُ مَا فِي مَعِدَتِهِ وَ أُنْقِذَتِ البَطَّةُ الْمِسْكِينَةُ مِنْ مَوْتٍ فَظِيعٍ.